جامعة الأزهر

حولية
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

العدد التاسع

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة شؤون المكتبات
قسم الدوريات

١٤١١ هـ — ١٩٩١ م

مطبعة الحسين الاسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف جامع الأزهر

جامعة الأزهـر

حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية

العـــدد التـاسـع

١٤١١ هـ — ١٩٩١ م

مطبعـة الحسين الإسلاميـة
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهـر

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

30120000530300
عمادة شئون المكتبات

٢١٠.٥
ح ك ح

نسخة لاتعار

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الحولية التاسعة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن والاه ، واهتدى بهديه ، وسار على نهجه الى يوم الدين .

وبعد

فهذه هى الحولية التاسعة لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين تحمل بين دفتيها جانباً يسيرا من نتاج أساتذة الكلية على امتداد العام الجامعى ، ليكون هذا العمل قدوة للباحثين من طلاب الكلية وطلاب الدراسات العليا .

ويصدر هذا العدد فى ظل ظروف متميزة عاشتها الكلية وتجاوزتها وانتصرت عليها .

أذكر منها قضية الدراسات العليا حيث اختلفت العراقيل ووضعت العثرات التى تكفل توهين نشاطها ، والحد من تقدمها ، وصرف الناس عنها وخرجت من هذا الامتحان الذى حوى من الصراع أشده قوية صلبة .

كما أن هذه الحولية تصدر ، وقد مضى على تأسيس الكلية نحو ربع قرن من الزمان فهى تعيش عيدها الفضى ، وهذه الحولية ما هى إلا عدد تذكارى لهذه المناسبة الهامة فى حياة الكلية .

وأن الإنجازات التى قدمتها هذه الكلية الحديثة والعريقة فى الوقت نفسه على صعيد التعليم الجامعى بالأزهر يعجب ويبهر .

تكاملت فيها أقسام الدراسات العليا .

ومنحت الآلاف المؤلفة درجات الإجازة العالية فى الدراسات الإسلامية والعربية ، كما منحت درجات التخصص والعالمية لعشرات من الدارسين فيها .

وهى الآن قبلة أنظار الطلاب يسارع إلى الالتحاق بها أصحاب الدرجات العالية فى الشهادة الثانوية الأزهرية .

ومما أسهم فى دعمها ورفع مستواها أن قصر القبول فيها على ثانوية الأزهر منذ نحو خمسة عشر عاماً .

وهذه الكلية التى بدأت الدراسة فيها منذ ربع قرن على عاتق أساتذة انتدبوا إليها من الكليات الأخرى نرى بها الآن أكثر من اثنى عشر عضو هيئة تدريس بدرجة أستاذ ، ونحو عشرين بدرجة أستاذ مساعد ، وعشرات من المدرسين ، وأضعافهم من المدرسين المساعدين والمعيدين .

وتميزت هذه الحولية بسمة أخرى كانت فيها رائدة تلكم هى تقويم البحث قبل نشره .

وهذا المنهج الحميد الذى درجت عليه الكلية منذ عامين أو يزيد أخذت به الجامعة الآن ، فأصبح تقويم البحث أمرا حتمياً قبل نشره فى أية مجلة من مجلات كليات الجامعة .

والذين قاموا بتقويم البحث أساتذة لهم قدم صدق فى هذا المجال من اللجان العلمية الدائمة ومن أساتذة الكلية .

إن كلية الدراسات هى الأزهر بعينه ، ولذا ستظل عريقة عراقة الأزهر شامخة شموخه تخرج من تكاملت فيه المعرفة بعلوم الدين وعلوم اللسان .

وسيرى القارىء لهذه الحولية أنها ضمت فى جوانبها علم الأزهر بكل فروعه وألوانه من علوم اللغة ومثلها فى التفسير وعلوم القرآن ، ومنها علوم تتصل بالفقه والعقيدة والحديث النبوى الشريف .

ولذا ألمح هـذه الثلة من خريجى الكلية قادمين فى خيـالى ، وقد أعادوا للناس صـورة العالم الأزهرى الذى لا تفوته شـاردة ولا واردة ، من مسـائل الدين واللغـة وقضايا الأدب ، ويتحدث فى كل منهـا حـديث المتمكن من علمه الواعى لمسائله وقضاياه .

وسـيرى القـارىء لهـذه الحوليـة عددا من البـحوث المتنوعة ، والمتميزة والتى تضم الجـديد والمفيد من البحوث والدراسات .

نسأل الله تبارك وتعـالى أن يمنحنا بفضله التسديد والتوفيق ، وأن يعيننـا جميعاً على النهوض برسالة الكليـة وأعبائها الثقـال دعماً للأزهر الشريف ورسـالته الخـالدة .

والله من وراء القصـد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

عميد الكليـة والمشرف على الحولية

أ٠ د٠ السيد رزق الطـويل

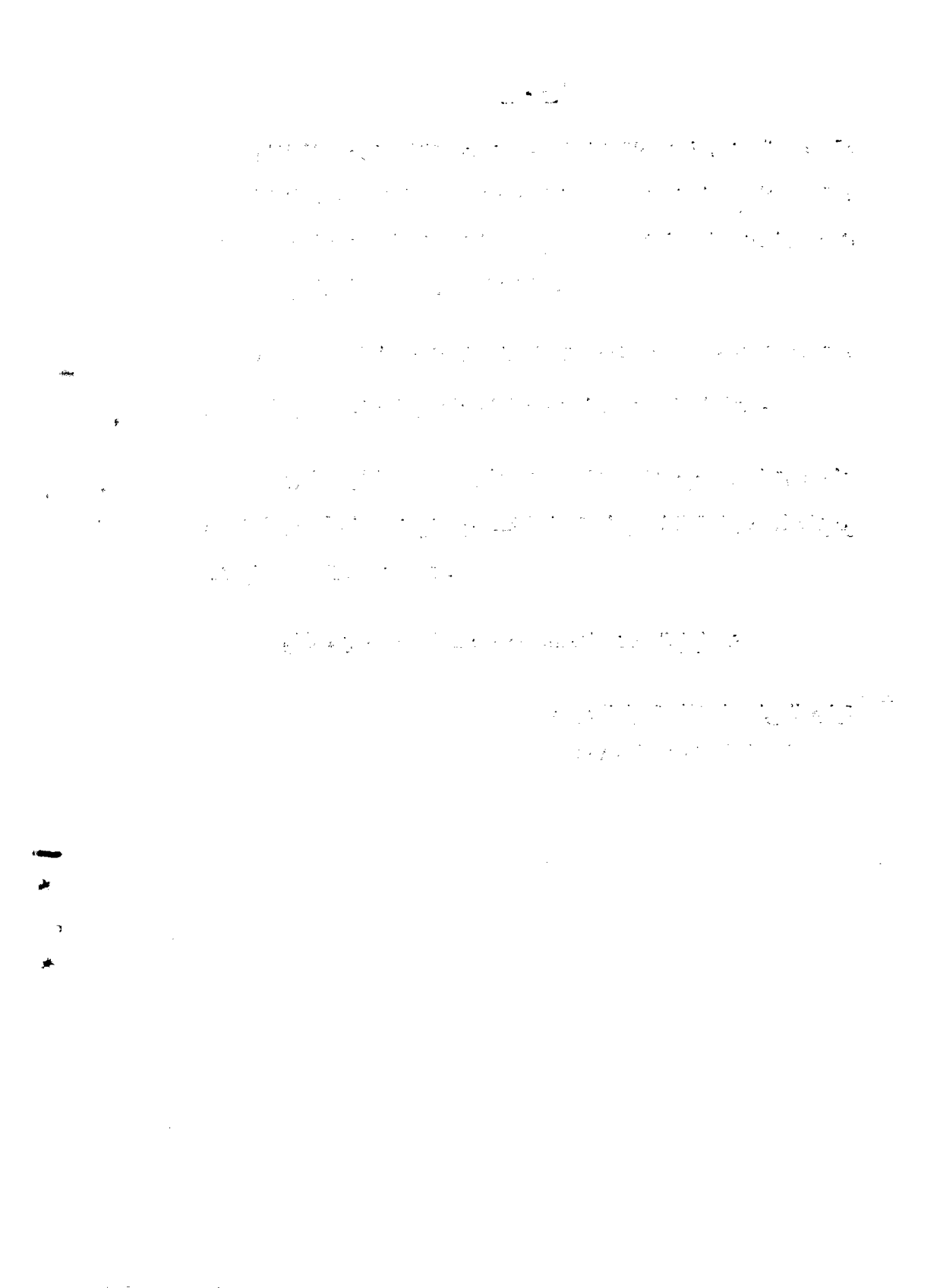

بحوث

في اللغة العربيّة وآدابها

القفطي مؤرخا للنحاة

إعداد
أ . د / السيد رزق الطويل
أستاذ اللغويات بجامعة الأزهر
وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية

مقدمة

نحمد الله تبارك وتعالى ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونستفتح بالذى هو خير (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) ونصلى ونسلم على رسول الله ومصطفاة محمد عليه الصلاة والسلام . اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه وسار على طريقه إلى يوم الدين .

أما بعد

فهذا بحث موجز نجلى فيه بعض ظواهر العظمة فى حياة أحد أعلام التراث الخالد هو : الوزير والقاضى الأكرم جمال الدين القفطى . عالم وإقليم

مديرية قنا هكذا كانت تسمى أو محافظة قنا كما ندعوها الآن جزء من الصعيد الأعلى الذى تميز منذ قديم بخصوبة أرضه فى إنتاج العظماء من البشر قبل نتاج الزرع والثمر وبرز من مدن هذا الإقليم مدينتا قفط وقوص كائنا موئلا لأعلام العماء فى كل درب من دروب العلم .

وقفط بخاصة وتقع شمالى قوص كانت معروفة فى التاريخ المصرى القديم ، ، ودارت حولها بعض القصص والأساطير ، وعندما جاء الفتح الإسلامى وارتبطت مصر ببلاد العرب صار لقفط شأن خاص إذ صارت ممرا للتجار والرحالين والحجاج فى طريقهم إلى عيذاب وجدة فبلاد العرب والهند ، أو عائدين من هذه البلاد إلى مصر والمغرب وبلاد الأندلس(١) .

---

(١) أنظر معجم البلدان : جـ ٣ ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

وكان من نتيجة ذلك كله أن صعد نجمها ، وأثرى أهلها ، وراجت أسواقها ، وكثر عمرانها ، واجتذبت إليها جمهرة من العلماء ممن كان ذاهبا إلى مكة للحج ، أو عائدا منها ، وهكذا نشطت فيها الحركة العلمية وامتلأت مساجدها ونواديها بالفضلاء من العلماء والأدباء

وامتد هذا النشاط إلى قوص وقنا وأدفو وأسوان وغيرها من بلاد الصعيد .

فى هذه البيئة الزاهرة ، المزدهرة بثمار العلم والأدب ولد العلامة الوزير ، الصاحب جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم ابن عبد الواحد الشيبانى ، ونسب إليها ، فقيل : القفطى ، كما كان يلقب بالقاضى الأكرم .

ولو ألقينا نظرة على أسمه نجد أنه عربى ، صريح النسب كريم النبعة ينتمى قومه إلى بنى شيبان ، الذين نزحوا من الكوفة مع القبائل العربية التى توافدت إلى مصر بعد الفتح أرسالا ، وانتشروا فى جنوب الوادى وشماله وطاب لهم المقام .

وأما مولده فسندع القفطى نفسه يحدثنا عنذلك خلال ما رواه عنه صديقه ، أو تلميذه ياقوت الحموى فى كتابه معجم الأدباء ، وفى حديثه عن مولده يتحدث عن قفط نفسها .

يقول ياقوت الحموى : قال لى - أى القفطى - ولدت فى أحد ربيعى سنة ٥٦٨ هـ بمدينة قفط من الصعيد الأعلى إحدى الجزائر الخالدات حيث الأرض الأربعة والعشرون فى أول الإقليم الثانى ، وبها قبر قبط ابن مصر بن سام بن نوح (٢) .

وخلال هذا النص - كما نرى - معلومات تحتاج إلى درس

---

(٢) انظر : معجم الأدباء ص ١٧٨ وما بعدها .

خاص ، يتوفر على إبراز هذه المعـالم وأسرته أسرة علم وفضل وجاه .

فأبوه يوسف بن إبراهيم الملقب بالقاضى الأشرف عرف ببيانه الرائع ، ونبوغه فى الإنشـاء ، كان حسن الترسـل ، بديع الخط ، كما كان نابه الذكـر ، مرفـوع المـكانة ، ناب عن القاضى الفاضل بحضرة صلاح الدين، واستوزره الملك الأشرف فى بلاد الشـام كما استوزره أتابك سنقر باليمن ، ثم هجر السلطة وآثر العـزلة إلى أن توفى سنة ٦٢٤ هـ .

وأخوه إبراهيم بن يوسف القفطى ، المعـروف بمـؤيد الدين ولـد بالقـدس سنة ٥٩٤ هـ سـمع الحديث ، وحدث بحلب ودمشق ، وتولى الوزارة بحلب أيضـا .

نشـأته ورحلته العلميـة :

قضى طفولته الأولى فى قفط ، ثم تركها إلى القاهرة حيث قصـر نفسـه على طلب العلم ، متنقـلا بين مدارسها الكثيرة ، باحثا عن أفاضل العلمـاء ، وممن لقيهم : محمد بن محمد بن بنـان الأنبـارى وكان شيخا فاضـلا ، يتصـدر للإقـراء ، فلزمه ، وأخذ عنـه سماعاته ، وأجـازه فى رواياته ، وسمع منه كتاب الصحاح للجوهرى .

ثم ترامت إليـه أخبار أبى طاهر السلفى نزيل الإسكندرية ، وعالمها فى ذلك الحين فلزم حلقته واستفاد منـه .

ثم عاوده الحنين إلى قفط فعـاد إليها مكتمل العقـل ، وقد نهل من فنون العـلم ، وهناك خالط علماءها وناظر أدباءها .

وأتيحت له فرصة الالتقـاء بصـالح بن عادى العذرى نزيلها ، وكان ممن نبـغ فى النحـو ، وتتبـع مسـائله ، وجمـع شتاتها ، وأحـاط بأصوله ، وعـرف مقيسـه وشـاذه ، فلزمه واستفاد منـه وحمـل عنـه علمـا كثيـرا .

ثم رجـع للقاهرة للإقامة فى رحابها فترة لكنها لم تطـل ؛ إذ سافر

مع والده عام ٥٩١ هـ إلى بيت المقدس ؛ إذ ولى والده أمرها من قبل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ٠

وهناك فى رحاب القدس الشريف عشق مجالس أهل العلم والأدب ، أحب الناس وأحبهم ، عزف عن السلطان برغم إغرائهم له ، مؤثرا أندية العلم على دواوين الحكم ٠

ولما ترك والده الوزارة بالقدس بعد أن عصفت بها أحداث ، بنا به المنزل فيها فاتجه إلى حلب فوجدت فيها مجالس زاخرة للعلم والأدب طابت بها نفسه ، ووجد المكان الذى اطمأن له العيش فيه(٣) ٠

وفى هذه الفترة التقى بجماعة من العلماء المقيمين فى حلب ، والوافدين عليها ، واستفاد بمحاضراتهم ، وفقه بمناظراتهم ، وأقبل على اقتناء الكتب على اختلاف فنونها ، وطارت شهرته فى الآفاق ، ووفد إليه العلماء فى حلب ، ومنهم ياقوت الحموى صاحب معجم الأدباء فأنزله القفطى فى داره ، وأفرد له مكانا فى مجلسه ، وعرف ياقوت فيه الفضل والعلم فأذاع أمره فى كل محفل ، وروى عنه فيما صنف من كتب ، وأهدى إلى خزانته كتابه « معجم البلدان » ٠

ثم فرض عليه الجاه والسلطان وهو يفر منهما ، لكن صديق والده ألزمه أمر الديوان فى حلب فقبله على مضض ، فأحسن السياسة ، ورفع الشكاية ، واطمأن الناس ، ولما مات ميمون سنة ٦١٠هـ وتولى بعده ابنه العزيز أراد القفطى العزلة ليخلو للمطالعة والكتابة لكن الجاه فرض عليه مرة أخرى فتولى أمر الديوان ٠

ثم حاول مرة أخرى أن يخلع عن عنقه ربقة الإمارة ويعفى نفسه من تكاليف السلطان ليخلو للمطالعة والتاليف ، وتم له ذلك الأمر

---

(٣) انظر : فوات الوفيات ، جـ ٢ ص ١٢١ ٠

فترة أخرى من الزمن فى رحاب حلب .

لكن الملك العزيز الذى كان حدثا ، ثم شب عن الطوق ، واستقل بالملك ألقى بين يدى القفطى بزمام الوزارة ، ولم يجد مناصا من قبول هذا التكليف الذى قام به أحسن القيام فأخلص النصيحة ، واجتهد فى المشورة ، وتوخى الرشد ، والتزم القصد حتى توفى العزيز ، وتولى بعده ابنه المعاصر(٤) صغير السن ، فظل القفطى وزيرا له يدبر الأمر أحسن تدبير إلى أن توفى سنة ٦٤٦ هـ ودفن بحلب .

علمه ومصادر ثقافته :

تعددت المنابع الثقافية التى استقى منها القفطى ، وصار بها عالما مبرزا بين العلماء ، ووجيها بين الأمراء وأصحاب الجاه ، ونستطيع أن نوجز ذلك فيما يلى :

١ ـ أسرته أسرة علم وفضل ، وقفط مسقط رأسه مدينة علم ، ومهوى علماء وأدباء وكانت أمه بدوية من عرب قضاعة ، فصيحة مطبوعة تحفظ الشعر وترويه .

٢ ـ رحلاته بين بلده قفط والقاهرة والاسكندرية ، والقدس الشريف ، وحلب ولقياه العلماء فى شتى العلوم والفنون ، وحضوره مناظراتهم ومحاوراتهم والحديث فى المعقول والمنقول مما فتق للقريحة وفجر ينابيع المعرفة ، بجانب تيسر الكتب له فعب ونهل ، وخلا للقراءة والتدوين خلوة محب عاشق ، حتى إن الجاه عندما كان يأتيه باغراءاته كان يقبله على مضض ، وعلى استحياء أيضا فكان

---

(٤) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز بن غازى بن صلاح الدين الأيوبى ، كان صاحب حلب ، ثم صاحب الشام ، ولى بعد موت أبيه سنة ٦٣٤ هـ ، وانتهت حياته بمحنة إذ قتل على يد هولاكو ملك التتار سنة ٦٥٩ هـ . انظر النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٠٥

مبدعا فى وزارته كما كان مبدعا فى تصانيفه .

٣ - ولعه باقتناء الكتب ، وقد يسرت له ظروف حياته إشباع هذه الرغبة ، فاقتنى من الكتب نوادرها وفرائدها ،واشتدت هذه الرغبة فى فترة إقامته فى حلب ، وطارت شهرته بذلك ، فتوافد عليه الوراقون ، والنساخون ، وباعة الكتب ، وقد علمنا أن ياقوت زاره وأهداه كتابه معجم البلدان .

لقد بذل ماله فى شراء الكتب ، وأنفق وقته فى حفظها وترتيبها ، حتى أصبحت داره قبلة للكتاب ؛ إذ كان يضاعف الثمن ، ويجزل العطاء حسب قيمة الكتاب .

ونلحظ فى كتابه إنباه الرواة أنه كثيرا ما يفخر بأنه اقتنى كتابا بخط مؤلف معروف أو ناسخ مشهور ، أو عثر على نسخة فريدة من كتاب لا توجد عند سواه .

يقول ابن شاكر الكتبى عن القفطى : « جمع من الكتب ما لا يوصف، وقصد بها من الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم تكن له دار ولا زوجة ، وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوى خمسين ألف دينار »(٥) .

مثل هذا الإنسان محب للكتب بهذه الصورة لابد أن يكون علامة على طراز فريد ، وأوجدت فيه هواية جمع التعليقات والفوائد ، والطرف التى تعود العلماء أن يضعوها على ظهور الكتب ولما تجمع له قدر كبير منها جعلها كتابا سماه : « نهزة الخاطر ، ونزهة الناظر فى أحاسن ما نقل من ظهور الكتب .

من هذه المنابع كان القفطى مثقف عصره ، متفردا فى التاريخ

---

(٥) فوات الوفيات : جـ ٢ ص ١٢١ .

والأخبـار ، ولو نظـرت لمصنفاته تجدها تخدم هذا الاتجـاه من تمكن من اللغـة والأدب شعرا ونثرا .

وحسبنا فى هذا الصـدد أن نثبت مقـالة صديقه ياقوت الذى سجل له سعة الثقافة ، وسموُ الأدب ، قال : اجتمعت بخدمته فى حلب ، فوجدته جم الفضـل ، كثير النبـل ، عظيم القدر ، سمح الكف ، طلق الوجـه ، حـلو البشـاشة وكنت الازم منـزله ، يحضره أهـل الفضـل ، وأرباب والحديث ، وعـلم القـرآن ، والأصول ، والمنطق والرياضـة والنجوم ، والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل ، وجميـع فنون العلم على الإطلاق إلا قام به أحسن قيـام ، وانتظم فى وسط عقدهم أحسن انتظام »(٦) .

وبرهان ثقافته .. هذه المصنفات :

١ ـ إخبـار العلمـاء بأخبـار الحـكماء ، ذكـره ابن أصيبعة فى عيون الأنبـاء (ج ٢ ص ٨٧) ، واختصره الزوزنى باسم : المنتخبات الملتقطات من كتاب تاريخ الحكماء طبع بمطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ .

٢ ـ أخبار المتيمين ذكـره ياقوت ، وابن شـاكر فى فوات الوفيات ، وابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب .

٣ ـ أخبـار المحمدين من الشعراء منه نسخة بدار الكتب رقم ٢٢١٧ تاريخ ، وأصـل النسخة كان بالأزهـر وكتبت سنة ١١٥٦ هـ .

٤ ـ أخبـار مصر من ابتدائها إلى أيام صـلاح الدين ذكـره ياقوت والأدفوى فى الطالع السعيد ، والسيوطى فى البغية

٥ ـ أخبار المصنفين وما صنفوه ذكره ياقوت ، وابن شاكر

---

(٦) معجم الأدباء : جـ ٥ ص ١٧٨ وما بعدها .

٦ - إصلاح خلل الصحاح ذكره ياقوت والسيوطى وابن العماد الحنبلى

٧ - إنبـاه الرواة على أنباء النحـاة طبع وحقق

٨ - شرح المفصـل ، ذكره صاحب كشف الظنون ص ١٧٧٥

٩ - كتاب الضاد والظاء ذكره ياقوت ، وابن شـاكر ، والسيوطى فى حسن المحاضرة ، وصاحب كشف الظنون

١٠ - المحلى فى استيعاب وجـوه كلا .. ذكره ياقوت ،وابن شـاكر ، والسيوطى فى البغيـة

١١ - نهزة الخاطر ، ونزهة الناظر فى أحاسن ما نقل من ظهور الكتب ذكره ياقوت ، وابن شاكر ، وابن العماد

هذا عـدا كتب كثيرة ذكرتها المراجع ، وكلها تاريخ ، وتراجم مما يدل على أن التاريخ شغل جانبا كبيرا من اهتماماته التصنيفية .

مقـدرته الأدبيـة :

عرف القفطى بأنه ناثر وشـاعر

أمـا نثره فقد كان صاحب ديوان لأمير حلب ، وأبوه كان رئيسـا للديوان أيام صلاح الدين ، وينوب فى هـذا الأمر عن القاضى الفاضـل وقد تخرج على أبيه فى هـذا الفن ، وتمرس به ، وآثر عنـه كثير من الرسائل ، وأدبه المنثور يظهـر فى مواطن عدة من كتابه انبـاه الرواة ، حتى كتاباته التاريخية التى توفر عليها فيها طلاوة أدبيـة .

وكان يسـير على طريقـة القـاضى الفاضـل فى تنميق اللفـظ ، والاحتفال بالسجع ، والاتجـاه إلى التورية والجناس ، يستوى فى ذلك إخوانياته ، وديوانياته ، أو ما سـال به قلمـه من تراجم ورسائل .
ومن رسائله : « وإذا ركبت أشهب النهار لنيل مرام ركبوا أدهم الليـل لنقص ذلك الإبرام وإن سمعوا منى قولا أذاعوا ، وإن لم يسمعوا اختلفوا

من الكذب ما استطاعوا ، وقد صرت كالمقيم مع افاع لا يأمن لسعها ، وكالمجاور لنار يتقى شرها ، ويستكفى لذعتها ، والله المسئول توسيع الامور إذا ضاقت مسالكها ، وهو المرجو لإصلاح قلوب الملوك على مماليكهم إذ هو رب المملكة ومالكها .. »(٧) .

وأما شعره ففيه ملامح الصنعة ، وسمات التكلف ، ويبدو أن ولعه بالدرس اللغوى والنحوى كان واضح الاثر فيما قاله من شعر ، يقول :

تعرب فى الهيجاء اسيافه عن حركات مثل لفظ اللسان
كسر وفتح ببلاد العدى وبعده ضم لمال مهان(٨)

لقد استخدم فى هذين البيتين ـ كما نرى ـ عددا من المصطلحات النحوية مثل : الاعراب ، والكسر والفتح والضم .

ويبدو أن هذا أمر تعشقه علماء الصعيد الأعلى ، وذلك راجع الى مزيد اهتمام بهذه الصناعة .

روى ابن هشام(٩) قال : من محاسن بعض الفضلاء أنه كتب من مدينة قوص إلى شيخ العلامة بهاء الدين محمد بن النحاس الحلبى ـ رحمه الله ـ يتشوق إليه ، ويشكو له نحوله فقال :

سلم على المولى البهاء وصف له شوقى إليه وأننى مملوكه
أبدا يحركنى إليه تشوقى جسمى به مشطوره منهوكه
لكن يخلت لبعده فكأننى ألف وليس بممكن تحريكه

فهنا تناول الرجل فى رسالته للبهاء الحلبى عدة مصطلحات نحوية وعروضية تؤكد الاهتمام بالقضايا اللغوية .

---

(٧) معجم الأدباء جـ ٥ ص ١٧٩
(٨) المرجع السابق ص ١٨٤
(٩) انظر شذور الذهب ص ٦٥

القفطى نحـوى ومؤرخ للنحـاة

لقد كان القفطى مبرزا فى علوم شـتى ما بين نظرية وتجريبية ، وقد ذكـر السيوطى(١٠) وغيره فى ترجمته معرفته بالرياضـة والفلك والهندسـة بجانب معـارف أخرى دينيـة ولسانية وتاريخية ، وأجـاد فى ذلك كله ، غير أن تميزه فى الدرس النحوى واللغوى بارز من بين الفنون التى أحـاط بها .

ومن دلائل ذلك تميزه فى النثر الفنى والإنشاء .

ونظرة واعيـة لتصنيفاته تكشف لنـا هـذه الحقيقة .

فله مؤلف فى إصـلاح ما وقـع فى كتاب الصحاح للجـوهرى من خلل ، وتتبع مؤلف فى اللغـة مثل الصحاح يدل على دراسة لغوية واعية، إذ لا يتصدى لمثـل هذا الأمـر إلا متمكن منـه .

وكذلك كتاب الضاد والظـاء ، الذى يتناول قضية تعـد من دقائق الدرس اللغوى .

كما تشـير المراجع إلى أنه شرح المفصـل للزمخشرى ، وتصـديه لشرح مثـل هـذا الكتاب الذى يعـد من أمهات كتب النحـو وأجمعهـا يدل على علاقة وثيقـة بهـذه الصناعة .

بل أكثر من هـذا عندما يفـرد القفطى مصـنفا فى استيعاب وجوه « كلا » وهى قضية نحـوية دقيقـة إنما يكشف لنـا عن دراسـة واعيـة متخصصـة .

لكن الذى نأسـف له أن هـذه المؤلفات النحوية واللغوية لم يتيسر للباحثين العثـور عليها ، قد تكون حبيسـة فى بعض المكتبات ، أو أنها

---

(١٠) بغيـة الوعـاة جـ ٢ ص ٢١٢

تلفت مع مكتبتـه الزاخرة التى ضمت انواع المصنفات فى شـتى العـلوم أثنـاء إغـارة التتار على حلب ٠

لكن بين أيدينـا شـاهد وأى شـاهد على ارتباط الرجل بالدرس النحوى ، وهـذا يتمثل فى أنه ألف موسـوعة عظيمة شـاملة فى تاريخ النحـاة ، تعـد من أوسـع المصنفات فى هـذا الاتجـاه ، مما يجعلنا نعـده بحـق مؤرخـا للنحـاة فى عصره ، ومـددا لمن كتب فى هـذا الموضوع بعـد عصره ٠

إن القفطى فى أعمـاقه فـكر مؤرخ ، والتـاريخ يغلب على أكثـر مصـنفاته ٠

فقد ذكرت له المراجع نحو سـبعة وعشرين مصـنفا ، منها نحـو سـتة عشر مصـنفا فى تاريخ الأمم والأشخاص والأنساب ٠

أما مؤلفـه الموسوعى فى ترجم النحـاة فهو : إنبـاه الرواة على أنبـاه النحـاة ٠

وكان هـذا المؤلف صـورة للعصر الذى صنف فيـه ، أعنى عـصر الموسـوعات التى تضـم أشـتاتا من المعرفة من شرق البلاد وغربها أى من فارس شرقا إلى الأندلس غربا فضم تراجم لكل من له صـلة بالنحـو واللغـة ، ولنترك القفـطى يتحـدث عما فعله فى تصنيف هـذا السـفر القيم يقول : « وذكرت مشايخ علمى النحـ واللغة ممن تصدر لإفـادتهما تصنيفا ، وتدريسـا ، ورواية فى أرض الحجـاز ، واليمن ، والبحرين ، وعمـان ، واليمامة ، والعـراق ، وأرض فارس ، والجبال ، وخراسان، وكرم سير ، وغزنة ، وما وراء النهر ، وأذربيجان ، والمذار ، وإرمينية ، والموصـل ، وديار بكر ، وديار مضر ، والجزيرة ، والعواصم ، والشام ، والسـاحل ، ومصر ، وعملهـا ، ووسـط المغرب ، وأقصاه وجـزيرة

الأندلس ، وجزيرة صقلية »(١١) .

وقد تناول القفطى فى هذا السفر القيم نحو ست وسبعين وتسعمائة ترجمة ضمنها حياة أعلام نحويين ولغويين .

وبين يدى هذا الكتاب تمهيد تحدث فيه عن نشأة النحو ، وأول من تحدث فيه ووضع قواعده ، وانتهى إلى ما انتهى إليه جمهور الباحثين من ان على بن ابى طالب اول من تكلم فى هذا الشأن ، وان أبا الأسود الدؤلى تصدى لوضع القواعد الأولى فيه .

ولأجل ذلك بدأ كتابه بالترجمة لعلى بن أبى طالب ، ثم ترجمة مستفيضة لأبى الأسود الدؤلى .

وأخذ بعد ذلك فى الترجمة لمن أتى بعدهما من النحاة ، مرتبا إياها على حروف المعجم ، بادئا بمن بدىء اسمه بالهمزة ، ثم الباء ، ثم التاء ، وهكذا غير مراع الترتيب بين الأعلام حسب الحروف الثوانى، والثوالث(١٢) اذا اشتركت فى البداية بحرف واحد .

كما أنه ترجم لكل من له أدنى صلة بالنحو واللغة حتى إنه ترجم للمعرى ، وابن طباطبا وتراجمه لأكثر الأعلام مستفيضة تضم معارف متعددة ، وأخبارا شتى .

وليس فى هذه الموسوعة التاريخية للنحاة ما يشير إلى زمن تاليفها إلا أنه من الثابت أن هذا الكتاب مؤلف قبل سنة ٦٢٦ هـ ، وهى السنة التى توفى فيها ياقوت ، وذلك لأن ياقوت أشار إلى هذه الموسوعة فى تاريخ النحو فى كتابه معجم الأدباء .

---

(١١) إنباه الرواة جـ ١ ص ٣٦ .
(١٢) صرح القفطى بأن الترتيب لم يكن من عمله وانما كان من عمل الناسخ ، انظر إنباه الرواة جـ ١ ص ٢٧٦ .

أما المصادر التى استمد منها القفطى معارفه عمن ترجم لهم فتتمثل فى مصدرين :

أولهما : المصنفات التى صنفت قبله فى الأخبار ، والسير ، والتاريخ ، وتراجم الشخصيات ونذكر منها بعض ما أشار إليه القفطى فى كتابه مثل : تاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ مصر لابن يونس ، وتاريخ غرس النعمة للصابى ، والمقتبس فى تاريخ الأندلس لأبى حيان ، والصلة لابن بشكوال ، وأخبار النحويين لابن درستويه ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى والمقتبس فى أخبار النحويين واللغويين للمرزبانى ، والفهرست لابن النديم ، وخريدة القصر للعماد الأصفهانى .

وأخذه من هذه المصادر جاء على صور عدة ، فأحيانا يذكر صراحة أنه نقل منها ، وفى أحيان أخرى ينقل دون أن يصرح بالمصدر ، لعله اعتمد على شهرة النص فى عصره ، ونسبة ما فيه إلى أعلام معاصرين .

بقى الجانب الآخر

وهو معارفه الخاصة التى تلقاها عن شيوخه ، وأعلام عصره ، أو أفادها من مجالسه فى حلب ، أو كاتبه بها العلماء من مختلف الأمصار .

وللقفطى من هذه المعارف عن الأعلام ، ومصنفاتهم اتجاهاتهم العلمية مدد زاخر أودعه فى كتابه هذا .

ومما ينبغى لنا أن نعلمه أن كثيرا من الحقائق التى نثرها فى كتابه كان منفردا بها ، أو ناقلا إياها من كتب لم تتيسر لسواه .

من هنا كان هذا الكتاب فى تاريخ النحاة يعد قيمة علمية نادرة ، وطريقته فى الترجمة لأعلام النحو أن يذكر المترجم باسمه ، ثم

بتبعـه بشهرته ، ويستطرد بعد ذلك بذكـر أخبـاره ، وبعدد كتبه إلى نحو ذلك من المعـارف .

وأحيانا يترجم للشخص مرتين ، مرة باسمه ، وأخرى بكنيته .

وقد يتجـاوز حد الرواية والنقـل إلى التحليـل والنقـد ، وقـد يبـدى رأيه فى بعض معـاصريه الذين ترجم لهم فى صراحة لا تعـرف التلميـح .

ذلكم هو القفطى .. عالم موسـوعى ، متمكن من لسـانه ، ومن آداب قومه ، ملم بشتى المعـارف ، محب للكتاب يقتنيـه ، ويحتفى به ، ويسـخر سـلطانه للحصـول عليـه ، ويتـعلم ويعلم ثم يقـدمه للأمـة مصنفات تشهد بغزارة علمه وسـعة فضله .

والنحـاة واللغويون يذكرون له أنه خير من أرخ لهم .

رحمـه الله رحمـة واسـعة ؟

أ. د. السيد رزق الطـويل
أستاذ اللغويات بجامعـة الأزهر
وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية